أربعة شعراء وتجديد

بقلم خليل احمد خليل

الشعر سلاح جديد يلجأ اليه الصوت المتمرد ليحمل اصوات امة او افراد . الشعر ثورة هو الاخر ، ثورة البركان . وهو ايضا صمت ، صمت الخالق المفكر . والشعر سفر الحياة ، ابنها ورسولها . الشعر مبشر بالام وافراح ، ببطولات حقيقية تفيض ولا تنتهي . الشعر تمرد . وكل تمرد يفترض الفهم والوعي ، يفترض التجربة والالتزام الانساني. وفي وطننا العربي ، حيث تلتقي الانبثاقات الحضارية ـ اي مجموع المجهودات الخلاقة ، الفنية والعلمية ـ بالانسان الثائر على نفسه اولا وعلى استعماره ، وهذه مهمة الشاعر الابدية ، تمرد شعرنا العربي على كل العبوديات منذ العصر العربي الاول فالاسلامي فالعربي القومي ـ اي الحضاري . شعرنا كان دليلا . وقد شهد لحيوية خاصة ، غنائية وحماسية ـ عميقة في كلا الحالتين ـ تميز بها الشعر العربي في شتى مراحل تطوره . وفي كل شعر نبحث عن الصوت الانساني قبل كل شيء . لا شعر بلا صوت كياني ووجداني. لا صوت بلا افاق ـ لكن الافاق تظل ساذجة ان لم تتصل بجذور الحياة ، هذه الجذور انسانية قبل كل شيء . وقد اشار كارل ماركس الى هذه النقطة المهمة : ان تكون جذريا هو ان تأخذ الاشياء من جذورها . والجذري بالنسبة للانسان هو الانسان . الانسان هو الثروة الاكيدة وهو التراث الحي ، التراث الخلاق وهو القوة التي لا يمكن استعبادها .

شعراؤنا الاربعة من بلاد مختلفة وواحدة ـ مختلفة سياسة واقتصادا وقضاء واحدة روحا وتألقا وتأملا واستهدافا . الشعر يتخطى الحدود الجغرافية ليطرح مشكلة المصير الجماعي كما عند البياتي ، والفردي كما عند انسي الحاج ، ليطرح مشكلة الحنين الى الفتح كما عند بسيسو والحنين الى العتبة كما عند رفقة . للشعر وجوه شتى ، لكنه ذو قلب واحد . الشعر ينطلق من الارض الحية ، من المجتمع ليبني وجها جديدا وهو يهدم عالما صدئت طرقاته وثمراته القليلة . فالى اي حد يستطيع الشعر ـ الكلام لا الوسائل التكنيكية ـ بعث همة شعبنا ، الى اي حد يستطيع ان يكون دعوة الى الثورة بعد ان لمس سببها الرئيسي : الفقر. هذا ما سنحاول استخلاصه من مجموعة لشاعر عربي كبير صدرت حديثا عن دار الاداب : سفر الفقر والثورة .

اولا : عبد الوهاب البياتي

يحلو لشاعرنا ان يبدأ مجموعته بفناء هادىء الى ثورة ٢٣ يوليو، كأول ثورة حقيقية عرفها الوطن العربي ، ويرينا أن هذه الثورة جاءت لتمحو العار ـ عار السقوط من ١٢١٢ سقوط الاندلس فبغداد في نفس القرن حتى بداية القرن العشرين ـ وتنزع هذا القناع الذي فرض علينا طويلا . هذا عملها السلبي . اما الايجابي فيتجلى في كونها فتحا في قفار الحياة ، فتحا في عالم الرؤية وطريقا الى الربيع ـ البعث والقيام. ولعل البياتي يرى في الحلاج الثائر العربي الاول . انه ملتزم اولا ، منتظم حياتيا ودينيا ، خرج الحلاج ليعلم المحبة لانها وحدها الطريق الى الخلاص الحقيقي . الحلاج « شاعر الاسرار والجذور » و « الكوكب الطالع من بغداد » كما يقول ادونيس ، هو العلامة الاولى للانبعاث الانساني في بلادنا . الحلاج شاعر الوجد الخاص ، الباحث ابدا هو انموذج حضاري للانسان يعيش في باطن الاشياء كما في ظاهرها ، في الكل كما في الاجزاء ، في البعد كما في القرب ، في الموت كما في الحياة ـ حيث الحياة وجد متواصل ، سلسلة وكل شيء فيها جديد وابدي ، يموج هيكليا مضيئا . الا ان البياتي يرى الحلاج بطريقة خاصة، كأنه يراه من خلال جيلنا المضطرب ، المغترب في نفسه وخارجها الضائع بين الحرية والعبوديات ، الملتهب والحامل لواء الثورة باسم الفقراء الجدد ، الفقراء الخالدين :

« يا مسكري بحبه ،
محيري في قربه
يا مغلق الابواب
الفقراء منحوني هذه الانسمال
وهذه الاقوال
فمد لي يديك عبر سنوات الموت والحصار . »

لا ادري ما الذي يربط قصائد البياتي . لا شيء . انها مفككة . بناؤها جزئي والمجموعة ضائعة الهيكل والاطراف . اذن سنعمل على فهم الاجزاء فقط . وساترك لغيري من النقاد الاهتمام بالتفاعيل والموسيقى المضطربة بعض الاحيان .

يحلو لشاعرنا ان يضحك من الماضي ، والضحك صرخة وتمرد ـ قد يكون سلبيا . الا انه مبتكر ضروري . فمهرج السلطان لم يعد خادمه، صار عاشق ابنته التي بات :

« يحيا على ضفاف نهر صوتها
وصمتها »
والتي « جن بعد موتها »

والسلطان رمز للمؤسسات الفوقية ـ القضاء والاخلاق والسياسة الحاكمة . والبياتي فقير ، ابن البنية التحتية ، حيث الانتاج والسعي والبناء . البياتي جدلي في شعره وقلما يعمد الى الشعر التحليلي . يعلن ثورته بهدوء :

بحت بكلمتين للسلطان
قلت له : جبان »

انه من شعراء الاعماق الثائرة ، وشاعر الجياع المنطلقين الى الحقول فالبيادر فالمصانع . انه شاعر التجدد الحضاري ، شاعر الانتباه وشاهد الجيل الناقم على المهرجين والمزورين والسماسرة والمحتالين والمراوغين . فهو حلاج يحاكم ومسيح يصلب . لكنه مختلف عن هاتين الشخصيتين . فبينما يكتب الاول سفر الروح والثاني سفر الارتفاع والتأله ، يكتب البياتي سفر الفقر والثورة المادية . قال له الحلاج :

« الفقراء البسوك تاجهم
وقاطعو الطريق
والبرص والعميان والرقيق »

والشاعر الثوري اب ، مرتبط بجذور الحياة ، بالطفل والمستقبل، مليء بالحسرة والحرقة والتوهج والانفة . مليء بذاته ، مشحون بالخارج المتقد ورؤاه تجرحه كسيوف صدئة :

قمري الحزين : البحر مات

البحر رمز الاتساع والحركة والتجدد مات . باطل اذن كل ما هو سواه باطل غناؤنا وعملنا . احساس بالاسى والوحدة والعزلة والموت حيث يصير الكل سمفونية خالدة لا يسمعها الا الجرح .

« فلمن تغني الساحرات ؟
والبحر مات ...
غرقت جزيرتنا وما عاد الغناء

الا بكاء »

المأساة تكبر كالاشجار والاطفال . ووحده شاعر الانسان يحس بها قريبة قاسية وملعونة . المأساة تبدأ عندما ترحل عنا طفولتنا ونبقى وحيدين في الريح بلا جذور تربطنا بالتراب والاعماق، بالجوهر والخلق. نصير غرباء عندما نتعلق بالشمس كطيور تركت جوانحها في الجحيم الابدية ، ولا نار داخلية تذكي عزيمة الانسان وتدفعه للنضال والتوثب.

« ويجف قنديل الطفولة في التراب ؟
اهكذا شمس النهار
تخبو وليس بموقد الفقراء نار ؟ »

عندما تموت الرياح والعواصف ، يموت الزمن والشمس ، تموت الاشياء والمدن والشوارع والضحكات ، ماذا يبقى للقلب الانساني سوى الكآبة القاتلة او الكآبة الخالقة ؟ في القحط يمكن الاختيار ايضا ـ الحرية ممكنة رغم كل شيء . عالم البياتي لحن اغتراب روحي ،وابتعاد عن مناخ شعبه ـ الضائع بين الرجعية المحلية والاستعمار المتربص.وها هو من بعيد ، يرى كنسر بعينين عميقتين مدن بلاده ، يرى نفسه فيها :

« مدن بلا فجر يغطيها الجليد
هجرت كنائسها عصافير الربيع
فلمن تغني ؟ والمقاهي اوصدت ابوابها
ولمن تصلي ؟ ايها القلب الصديع
والليل مات . »

مات الليل ، مات الحنين الاخر والوجد ، مات الصمت والاسرار ولم يبق سواك يا كآبتنا الخالدة ـ كآبة الاعماق والمسؤولية والكفاح . فها شاعرنا يدخل في محنة العزلة ، والانفصال عن العالم السطحي ـ عالم القشور والابتذال ، داخلا الى عالم التأمل ، عالم الرؤيا المصيرية:

« هذا بلا امس وهذا غده قيثارة خرساء
داعبها فانقطعت اوتارها ولاذ بالصهباء
وذا بلا وجه ، بلا مدينة ، وذا بلاغ قناع »

ان شاعرنا يرسم بحنان نبوي « اشتعال الروح في الجسد » وينقلنا بفضل حياته الباحثة الى حياة الاخرين المتنوعة ، الحياة المليئة الفارغة ، الحياة القاتلة الخلاقة ، حيث يغتصب الجسد افاق روحه. وحينما يدخل الشاعر الى بلاط الامير او السلطان يصير حجرا اي جمادا او الة تدار . وشاعرنا يرفض هذا الوضع . يرفض انه يزرع نفسه في رخام غيره ، وها هو يكسر الحجر الذي هو اياه . ويهتف بفرح حقيقي :

« يدي ـ التي استرجعتها
امدها لتنفخ الحياة في الجماد »

الشاعر البياتي واضح جدا ، واقعي قادر على الوصول الى شعبه بكلماته الحية الناضجة ، الفاعلة الناقلة الى تجارب روحيةنابعة من المخاض الحضاري الذي تعانيه امتنا العظيمة . للبياتي قصيدة مكتملة جدا ، مليئة وناضجة ، تثير وتفرح هي « المغني والامير » . هذا المغني ـ شاعرا كان او اديبا ـ هو فقير يتمرد مخاطبا الامير أو السلطان:

« ... رأيت في الاحلام
تاجك منه يصنع الحداد
نعل حصاني ويحز رأسك الجلاد »

ان البياتي يتغلغل في الذاكرة الشعبية ، يصل الى التراث ويحاول ان يغير صوره ومعانيه ليزرع في النفوس بذورا جديدة ، وهكذا تصير الكلمات خالقة ، مكونة لقوى انسانية صلدة ومفكرة . انه يبحث عن سحابة جديدة لتزيح عن صدره كابوس العبوديات والكآبة ويغير وجه دجلة الخلاق الذي لا يقوم بدوره كما يجب . حينما يلتقي الماء والشعب تبدأ الحركة والحيوية تلتهب في كل شيء . شعر البياتي دعوة للوصول الى الوطن الحقيقي ، الوطن الجديد البعيد .

« فاستيقظي يا صخرة في الصدر ، يا رمحا بلا سنان
يا كلمات خضبت بالدم ، يا نارا بلا دخان
ولتسكتي ضفادع السلطان »

« ... فالفقراء صلبوا في السوق
سلطانك المخلوع
وكفروا بالجوع
ولتضيء المشاعل
ظلام هذا الكوكب الغارق بالاوحال والصقيع
هذا الاقحوان الذابل »

هناك قصائد لا يمكن اعتبارها شعرا ، وهناك مقاطع ناجحة . فلا نستطيع ان نجد قصيدة مكتملة ممتلئة في هذه المجموعة لنتوقف عندها كثيرا . في « سفر الفقر والثورة » يرتفع الصوت بعد ان خرج من القاع ، من المستنقع والعذاب ليرسم وجهه الجديد . بالصوت يحيا الشاعر ، بالصراخ يشهد للجماهير القادمة ، للاطفال والحب والسلام. يصرخ بالفقر اهذا انت ؟

« اهذا الحجر الصامت من قبري ؟
اهذا الزمن المصلوب في الساحات من عمري ؟
اهذا انت يا فقري ... ؟ »

وفي قصيدة ثانية يتابع التساؤل :

« اهذا انت عبر زجاج مقهى الليل في المطر ؟
بلا عينين ، كالقدر
تحث خطاك في اثري
تطاردني الى داري
اهذا انت يا جاري ؟ »

ويعود لينغمس في رؤياه المتسلسلة :

« بعيد انت يا وطني
كحلم عبر نافذة القطار اراك في الوسن
نخيلك في ضباب الفجر ايقظني
اهذا انت يا قدري ؟ »

السؤال الرئيسي الذي يطرحه البياتي يتلخص في معرفة واحدة:

سلسلة المسرحيات العالمية

١ ـ البغي الفاضلة وموتى بلا قبور
بقلم جان بـول سارتر
ترجمة الدكتور سهيل ادريس والمحامي جلال مطرجي
الثمن ٢٠٠ ق. ل

٢ ـ ماريانـا
تأليف فديريكو غارسيا لوركا
ترجمة شاكر مصطفى
الثمن ٢٠٠ ق. ل

٣ ـ هيروشيما حبيبي
تأليف مرغريت دورا
ترجمة الدكتـور سهيل ادريس
الثمن ٢٠٠ ق. ل

٤ ـ لكل حقيقته
تأليف لويجـي بيراندلـلو
ترجمة جـورج طرابيشي
الثمن ٢٠٠ ق. ل

٥ ـ تمت اللعبة
تأليف جـان بول سارتر
ترجمة مجاهد ع. مجاهد
الثمن ٢٠٠ ق. ل

منشورات دار الاداب ـ بـيروت

« ايبعث الانسان
في هذه المقبرة الضائعة المكان ؟ »

فيجيب مؤكدا هذا البعث اذ ان الفارس يلقي سؤاله ولا ينتظر الجواب . الشاعر الثوري يناضل ولا يفكر متى سيموت وكيف . المهم هو الكفاح والعمل المتواصل . فهل ستنبعث الامة العربية ؟ هذا ما سيحكم عليه في السنين القادمة . المهم هو ان نعمل على بعثها بايمان ومحبة . الا ان شاعرا اخر ، انسي الحاج يعترض في كتابه على هذه النظرة ويقدم لنا وجهة نظر اخرى بسيكولوجية فردية تتعارض الى حد بعيد مع هذه النظرة الجماعية . فلنحاول ان نتفهم المشكلة التي يطرحها انسي الحاج في كتابه « ماضي الايام الآتية » .

ثانيا : انسي الحاج

« ماضي الايام الاتية » هو مجموعة الشاعر الثالثة وقد صدر عن المكتبة العصرية . عنوان الكتاب عجيب . يعني الماضي . ولا ادري اذا كان يعني شيئا اخر ، فقد اصبح بعض كتابنا يفضل اللامعنى على المعنى . الا ان انسي الحاج ليس منهم . ان كتابه هدية الى نفسه . الي : يقول الشاعر . هذا يعني انه قرر اخيرا ان يحالف نفسه فقط. هذا الموقف غير طبيعي بالنسبة للكائن الاجتماعي اذ ان احد شروط الوجود الفردي هو قيام العلاقات والتبادلات الحية . انسي لا ينفي ذلك ، لكنه مصمم كما يبدو ان يعيش مع نفسه جامعا بين النرسيسية والمازوشية ـ مكونا بذرة الاشتهاء العميق .

يبدأ كتابه بقصيدة « العاصفة » . وهي قصيدة نثرية . وقصيدة النثر ليست شيئا جديدا في تراثنا العربي . الجديد هو المحتوى الشعري . وقد عالج ادونيس مشكلة قصيدة النثر في دراسة مهمة نشرها في مجلة « شعر » . وللاستزادة يستحسن ان تقرأ مقدمة انسي الحاج لكتابه الاول « لن » . هنا لا اعالج مشكلة قصيدة النثر . لذا لا مجال للبحث في ذلك . ومن الحسن ان تعمق وتوضح هذه المشكلةالتي تمثل التيار المتطرف العنيف في ادبنا الجديد .

انسي الحاج شاعر البحث واللعنة ، شاعر الانا والجنس ، شاعر الضفة الاخرى ـ يكره الشاعر المباشر ويحاربه . وهو يستعمل طريقة الاستبطان في كتابته ، يحاول ان يرى نفسه ـ هذا علميا مستحيل . مع هذا فلنحاول ان نفهم كيف يرى نفسه . يقول : « ويخيل الي ، وقد جمعت المتناقضات ، اني لم اعد اصلح حتى كاذبا » . اعلن تهدمه. اذ ان الكذب وهو سلوك سلبي تمردي عدائي ايضا ناتج عن ظروف موضوعية كثيرة ـ تربوية وتثقيفية ـ يلعب الحرمان فيها دورا كبيرا ـ والبراءة ايضا ، الـ براءة التي تدعي الكسل . اما علاقته مع المرأة فهي شبيهة بعلاقة القنابل مع البيوت ـ انها علاقة تدميرية. « وكوحش يرعى تحت الحلق اتدمر وفيك ادمر كل امراة ! » فنرى ان انسي انسان الشهوة والعنف والتفرد لا يكف عن الهجوم ـ الهجوم مهما تكن النتائج ولاي سبب . هذا التصرف غير طبيعي بتاتا . وهو يحاول ان يظهر نفسه بطريقة معروفة وهذا ما يسمى بحب الظهور ـ يجب ان يبرز ، ان يفعل اي شيء حتى يرى ان لا احد يشبهه . صحيح انه لا يوجد شيئان متشابهان تماما ، لكن هذا مختلف عن الميل الطفولي للظهور . يقول « لم يقم حب الا حبي بالعودة الى النار والسير مع الاسد ، كما غنى لم يغن احد » وهو حين يختار المرأة لا يختارها كامرأة اجتماعية تجسد الرغبات الواعية في البناء العائلي والقومي والانساني ، بل يختارها على طريقته النرسيسية ـ المازوشية . ذاك ان الحب غير ممكن في عالم الانانية ونحن نعلم ان المرأة هي التي تضحي غالبا وتتحمل بطيبة انانية الرجل ـ المرأة تعرف ذلك وهكذا تستعبد الرجل . «اختارك امرأة طموحي وامرأة انهياري وصوتك يردد : احبك » وهو يمثل شهوة كلاسيكية ورومانسية في القتل وكم يكره المجموع ، او الشعب « في حروفي تلمع شفرة كأنها تلمع في رقبة شعب ودمه لا يلطخها » ويجسد الرغبات والتصرفات البرجوازية والحقد على كل ما هو اخر « يلمع البطر والدمار ، تلمع جثث امرأة » . انه فارس الجنس الابدي. لقد احتل الجنس مكانا مهما في اداب الشعوب . وكان هذا طبيعيا . اما ان يقصر شاعر حياته وكتاباته كلها على مشكلة واحدة : الجنس ، فهذا يبدو لنا غير طبيعي . يريد ان يصل الى الاعماق ان يشعلبشعره روح الارض . وكيف تشعل الارض ؟ بالحقد ؟

ان هذه القصيدة الجنسية عاصفة في غرفة ، تخلع النوافذ والمرأة واللغة العربية . ان هذا الشاعر المتمرد لا يعزف العربية « اغطي ضباب وحيك بجسدك كما قليلا ... » يظهر انه يترجم عن الفرنسية . عدا ذلك نسأل هل نسمي قتل الاخر ـ امرأة كان او رجلا ـ حبا ؟ هذا هو الحب عند الحاج . ثم ننتقل الى قصيدة طويلة « داناي والزئبق » . داناي هي المرأة الزئبقية التي لا تمسك وهي « الالهة العشيقة الحوزية الزائلة التي حملها الموج الي عذراء فانجبت كل ما انجبت منها والقيتها على الموج الى المستقبل عذراء » شعر جيد . الا ان انسي لا يلبث ان يسقط في هوة الكلام الفارغ الذي لا معنى له هاكم مثلا « يحمل رسالة تقول ابو نواس هنا ابو تمام ابن الرومي الشريف الرضي الحلاج على حصان الحجاج » هل هذا شعر ؟ طبعا لا . انا لا انكر شاعرية انسي الحاج بعض الاحيان لكنه يتأرجح بين هبوط وارتفاع ويعمد كثيرا الى الكلام الفارغ ، فهو يحتاج الى مراقبة فنية ، يحتاج الى اهتمام حقيقي بكتاباته . وهو يخلق صورا لا معنى لها . ذاك انه منفصل جذريا عن تجربة حقيقية حتى يولد لديه عالم شعري مهم ، عالم انساني . انه يعرف نفسه كما هو : « انا من جنس المحور الحاوي القنافذ والعقارب القبرات الجزيلة الصحو احصنة ابليس الراهبات النسر ونخاعالصقر وجداول السرطان والهدهد » . كلام . كلام . كلام . وبعد هذا ؟ الصورة ضرورية في الشعر وكذلك الخيال والتجربة ، لكن هذا كله ينسجم ويؤلف وحدة حية تستهدف شيئا ما . ماذا نستنتج من صورة « نخاع الصعتر » مثلا وسواها ؟ لا شيء . اذن نحن لا نتهم انسي الحاج بشكل قصيدته النثرية ولكنا نقول له ان شعره لا معنى له في اكثر الاحيان ، وان الثورة التي يشنها على الشعر العربي هي ثورة اطفال لا اكثر . لانه لا يعمد الى بناء عالم جديد يتمم العالم القديم ولا اقو ليحل محله. انه لا يتوقف عن ايهامنا انه يرى . لكن ماذا ؟ « صبي من الصوف يجر غيم الخرافات » . « لن يذهب احد بعيدا في النظام ولا بعيدا في الثورة . الصواب هو انا » .

بعد هذا الجو المضطرب ، هذا العالم من الحكي اليومي المضحك ، المضحك فقط ، ليش كشعر بل كملهاة خاصة يفاجئنا انسي الحاج بقصيدة حقيقية هي « زيح الشغف الازرق » العنوان عجيب ، الا ان القصيدة متناسقة ، معبرة عن حساسية جديدة في شعره . عودة الى الطفولة ، الى الرجولة ، الى الروح الملتهبة ، الروح العاشقة المحبة ، الروح الرائية بحنان وهدوء وصلادة :

« ورأيت الفضاء
فرأيت الفضاء
ولما رأيته جميلا احببت يمامة حملتني
وحين أعجبت برائحة الارض علي
حطتني في التراب
ورفعت عن اليمامة نفسي
فوقفت في الفضاء كالرمح »

رؤيا صوفية نادرة جدا في شعره : صفاء وتركيز واستهداف . لشعره موضوع وهو مضاء من الداخل والخارج ـ لا ظلال كئيبة تمر فوق وجهه كداناي الغائبة . المرأة سحر خاص يحول الاشياء ويفعل العجائب ، يوقظ وينقذ . في قصيدة الكأس يظهر هذا السحر الجنسي عميقا مشعا ، فالمرأة تبقى له وهو يشعر ولا يشعر ، وحينما يحدث ذلك يتوقف التغير والارض تسير خلفهما . ويرى خلف الغابات كل ما هو قديم وبدائي . ذاك ان داناي هي الكل ولذا فهي الساحرة حقا ، وهي الاولى في صف الحب . وداناي هي الغريبة التي تبعث في الانسان امطاره العتيقة ودماؤها الانثوية تسيل كالانهار وتصطاد الحيوانات ،

وداناي هي حواء الخالقة ابدا ، حواء التي تجذب كل شيء وهـي الام والراهبة العشيقة . فكيف تجيء اليه هذه المراة الغائبة الحاضرة ـ بشهوتها ونقائها . تجيء وتنفوه بالاحلام التي تربط الانسان بالامل خلال اللاوعي . ويقترنان بالحريق ليقبلا شفاههم القديمة . وهو يغير نفسه يجدد اشياءه ويتلف عاداته القديمة بما في ذلك الطيور والازهار ثم يبتكر لداناي عالما اخر ، بكرا كطائر وزهرة . والمراة رمز القهر ، فاذا ارلد آدم الركوب فما عليه الا ان يحمل أثرا من آثار المراة وبعدها تؤيده الاشياء وتزحف وراءه . وانسي الحاج هو الشاعر الذي يقول « قمت من النوم خلنج » وخلنج تعني جديدا ، وهي تستعمل للعملة وسواها ولا ادري مصدر الكلمة في اللغة الدارجة .

بعد نهوضه هذا ينتقل الى عالم الحظ ليتامل نمشه . ليجعل بيت حواء بئرا يحيطها النسيان والذاكرة من اقصى الحلم الى اقصاه . وهو يعلم نوعا جديدا من القناعة ، يعلم التملك والاستعلاء ، ولعل من احلامه الرئيسية ان يكون ملكا « عش ملكا تكن قانعا » . وبعدها يغير موقفه من المراة التي احتلت فسحة في المستقبل ، سوف يغمرها الماضي بنسيانه لكن كيف تكون الماضي فقط . يجب ان ينتهي الرجل اولا حتى تصير المراة ماضيه . لان كليهما يفترض وجود الاخر ضرورة ، ولا يمكن التخلي عن احد هذين العنصرين وتصور الاول دون الاخر . الا ان انسي يرفض البحث في هذا الفشل . ما يهمه هو تعهد فضائح الحب ووضع التقارير عن ديونه . ذاك ان كل امراة تجرح وتقتل كأنها الاخيرة . « كل واحدة هي الاخيرة » ويرى ان دماغ المراة شبيه بأسفنجة الجنس وانها تنظر الى الافكار نظرة السفلس والكلب . هكذا يقول الشاعر ، وهو لا يقف عند هذا الحد . ففي قصيدة « موعد » . موعد بين الرجل والمراة يقول : « جمع من النساء حول رجل محطم » « ... كان الرجل المحطم قد اتعبني . وتم لقائي بهن في البيت القديم فتحولت دعاباتي الى دم» انه شاعر صريح ولا يخشى ان يخفي أي شيء . طبعا هذا معروف . كل يعرف اللعبة الجنسية ، وكل الناس الطبيعيين يمارسونها ، لكن هل كل كلام عن هذه العملية شعر ؟ طبعا لا . وهو يرى ان الشر البشري صلب خداع ومتطور كالازياء ، وان كل النظريات تنطبق عليه وتنهار ، لانه ليس وليد جيل بل انه الزوايا المختلفة . للزوايا حقيقة معينة ، اما هو فبلا حقيقة « اما الحقيقة فيا سيدتي لا تدخل الى كرمي » .

انسي يرينا مواقفه وعلائقه بصراحة . الانسان باطل الوجه والمغامرة . لا حقيقة . لا امل . انه سرطاني . فحين يرى بلاده ضيقة مثل شعره لا يحبها ويشاركها مأساتها ويخفف عنها آلامها بل يكرهها ويسقط كالمارد عليها ، وهذا الفرق الرئيسي بين الانسان الملتزم كالبياتي والانسان المشتت كانسي الحاج . الاول شاعر امة وقضايا ومشاكل فردية والثاني يكره ان يكون شاعر أي شيء ، انه اللاشيء المستحيل الممكن . هاكم مثلا عن فوضاه الشعرية « تعلم الموسيقى كالجندي ، كالجندي تعلم الموسيقى ليقهر الجندي وعندما قهره تعلم الجندي ليقهر الموسيقى » . حيرة ابدية لكن انسي يعرف انه لا يوجد من يفهم شعره ـ وهذا عائد لكون شعره لم يكتب ليفهم ـ .

ثالثا : معين بسيسو

صدر له عن دار الاداب ديوان بعنوان « فلسطين في القلب » . والديوان يدور حول مشاكل العرب بصورة عامة وهو ليس خاصا بقضية فلسطين بالذات . شعره قومي انساني . قومي بمعنى انه ملتزم لقضايا العرب التحررية ، وانساني لانه محاولة في تصور عالم واقعي افضل . يرى الشاعر ان عظم مدينتنا قد كسر ، « فمن يجبر عظم مدينتنا المكسور ؟ » . هذا السؤال مهم جدا خاصة في هذه الفترة التحولية التي تمر بها الامة العربية . هناك جرح فمن يبرئه ؟ أي جيل يتبنى العمل الواعي والنضال ؟ هل سدت آفاق النضال ولم يبق في بلادنا سوى التخلف واليأس ؟ لا . يؤكد الشاعر :

« يا قلبي
طربي ، طربي
فهنالك نافذة لم تصبغ
بالبرق الاسود في وطني »

هذه النافذة المفتوحة ، المضاءة بالجراح ، هي محط الآمال وموطيء الآفاق الشاسعة . ان عربة الفصول تتابع سيرها برتابة الا ان الانمار بدأت تختلف وتنضج اكثر من سواها في بلادنا ، ذاك اننا عشنا ثورة الجذور ، ثورة التحرر والبناء الحياتي . وشاعرنا يشبه المسيح من حيث الحال . فقد ساقه الجلاد الى تجربة الصلب ـ وهو ابن الشعب الحقيقي ـ واطلق صراح باراباس المجرم ، يستعين شاعرنا اذن برمز مسيحي من العهد الجديد ، وبرمز اخر من العهد القديم حيث يقول الرب : مكتوب ان لا تجرب الرب الهك . والشاعر يطالب شعبه قائلا لا تدخلني في تجربة ـ اي لا تشك باخلاصي ووفائي لك ـ لكن ادخلني في تجربة الاستشهاد في سبيلك . فعندئذ لن اهرب من دربك ابدا . فبهذا التمزق والتضحية يصير الانسان من بلاده ولها ، يصير بلاده ، وتمحي خطوط الغربة القاتلة عن جبهته . وعندما تغيب راية الوطن ، عندما تسقط البلاد بعد حصار البربر والاستعمار ، يبقى شيء من هذه الراية يخفق في الريح وينمو في الجراح . البعث ممكن واكيد رغم كل شيء . والشاعر المغترب في بلاده وخارجها يعود اليها ليسقط على سيفها ـ والسيف علامة اصرارها وبقائها حية خالدة ـ ويترك قلبه يتمزق من قبلة السيف البيضاء ، فيرى بذلك بلاده ونفسه . وما قيمة صوت الشاعر ؟ ما قيمته صرخته ؟ الصرخة دليل تمرد وهي رفض عارم وهي كالسهم تنتصب وترسم الطرقات امام القوافل الزاحفة :

« الصرخة اوراق
تسقط عن شجر اللحم
غصون وثمار »

والشاعر الملتزم لا يصرخ في العالم المجرد ، او عالم اللامعنى

صدر حديثا

الخيل والنساء

بقلم الدكتور

عبد السلام العجيلي

مجموعة قصصية جديدة لقصاص سوريا الاول

الثمن ٢٠٠ ق.ل

منشورات دار الاداب

والشعوذة . انه يصرخ باسم امته الباسلة ، يقتحم الاسوار حتى ينهض صوتها بين الاصوات في مفارق الارض ، وتلتهب نار بين النيران ومجدها بين الامجاد ، ويتصل شعبها بالشعوب الاخرى ، وكنهر جديد يرتبط بالبحار والحياة . وتتسع صرخة الشاعر وتضيء كالبرق الجديد :

« صحي البرق النائم فوق ذراعك كالعصفور .. »

والشاعر الملتزم هو المصلوب الحالم بأرض لخطاه ، بأرض بعيدة لم تلمسها قدماه . فهو اذن الانسان الباحث عن طرقاته في العالم ، الباحث عن جذوره في مخابيء الآفاق . ويبحث عمن يصون جذور بلاده، عن جيل متمرد لا يطرز الصلبان على المرايا والعيون على الدروب وهو ينصحنا ان نظل عميقين كالجذور مخلصين لاسرارنا ولا نبوح بالجراح :

« تطلعوا لا ترفع الجذور
كبيرق ، جراحها على الغصون .. »

والشعر الملتزم هو ابن الفعل والفكر . فهو دعوة الكلمات الى الايادي لتحول الاشياء وتولد في الارض حقولا خضراء تستقبل الاجيال الاخرى بصدر اكثر حنانا وحبا . والمناضل هو كالطاحون يعصر زيت وجوده ليضيء مصباح الحياة في بيوت الفلاحين والعمال ، في بيوت تجاوزت ارض الشعارات العتيقة ، لتتصل بالتاريخ عبر زمن عملي معاش . والشاعر يورد بعد ذلك قصائد حب وتغن بالبطولات والنضال ليس لها أي قيمة فنية . ونلاحظ انه يقفز من قصيدة الى قصيدة دون ان يكون هناك أي روابط تشد القصائد الى بعضها . لذا فهذا العمل الشعري هو ديوان بالمعنى الكلاسيكي .

ويحلو لشاعرنا ان يشير اخيرا الى وجود النهر الثالث في العراق ـ الى جانب نهري دجلة والفرات اللذين يساهمان في تنمية الارض ـ الذي يساهم في تغذية الرجال بالحرية والثورة :

« انا لن اراك وربما ذابت ثلوجك في الخنادق
فذكرت دجلة والفرات وخفق اشرعة المشانق
فهناك نهر ليس تذكره الخرائط والوثائق »

هناك شلال من الدماء والارواح الصاعدة يعيش داخل تاريخنا نحس به ونفهمه ، نراه ولا نراه . وهناك الامومة الخالقة الواهبة .

شعر

من منشورات دار الاداب

		ق. ل
الاعاصير	للشاعر الفروي	٣٥٠
وجدتها	لفدوى طوقان	٣٠٠
وحدي مع الايام	» »	٣٠٠
اعطنا حبا	» »	٢٥٠
مدينة بلا قلب	لاحمد ع. حجازي	٢٠٠
عيناك مهرجان	لشفيق المعلوف	٢٠٠
ابيات ريفية	لعبد الباسط الصوفي	٣٠٠
في شمسي دوار	لفواز عيد	٢٠٠
الفجر آت يا عراق	لهلال ناجي	٢٠٠
المشانق والسلام	لعدنان الراوي	٢٠٠
حداء وغناء	لخالد الشواف	٢٠٠
عاشق من افريقيا	لاحمد الفيتوري	٢٠٠
احلام الفارس القديم	لصلاح عبد الصبور	٢٥٠
اقول لكم	لصلاح عبد الصبور	٢٥٠
فلسطين في القلب	لمعين بسيسو	٢٠٠
كلمات فلسطينية	لحسن النجمي	٢٠٠

رابعا : فؤاد رفقه

« حنين العتبة » قصيدة في سبع عشرة اغنية صدرت عن المكتبة العصرية . وهي ثاني اعمال الشاعر ، فعمله الاول « مرساة على الخليج » قد ظهر منذ خمس سنوات . اهم ما يميز هذه القصيدة رغم ابعادها التعريبية المتباينة هو وحدتها الموضوعية والذاتية ، وارتفاع مستواها الفني مما يميزها تميزا عميقا عن الاعمال التي عالجناها قبلها . وهي قصيدة عميقة جدا ، تصل الاعماق الفردية بآفاق العالم الواسع ، وتتشابك ذات الشاعر بحنين مع الاشياء الضائعة ، الغائبة والحاضرة . فؤاد رفقه يبحث عن الوجه الذي لا يتم ، ذاك ان الانسان كائن اسير خلف عتبة الحنين ، كائن مكرس للبحث وللغياب اخيرا قبل ان يكتمل وجهه داخل العالم . وهذا الشاعر يربطنا بنيتشه وهيدجر وادونيس وخليل حاوي ربطا غير مباشر . فحنين رفقه حنين نيتشوي ، فهو يبدأ في اوائل النهار بنسج نفسه ، ويعرض قماش وجوده ويتأمله تحت ضوء ملتهب منزلقا نحو ذاته ليحضنها ، ليراها ، ويسعد بها .

« وحين ضاقت قشرة النهار
كسرتها خرجت منها
وجهك الرحيل والدوار
وفي اقاصي القلب
في مفاور الرؤى
مشيت لا اغنية تذكرها
لا حائط عليه تبكي تضغط
الاصابع التي تجوع ، تضغط
الجبين والغبار »

ومأساة هذا الانسان جوهرية ، تعشش في حقيقة الكائن . في العالم ـ المندفع نحو الهاوية . ان وجودنا يربطنا بالهاوية ـ والمأساة ابدية لا تنتهي ، لان الكائن لا يحد . انه في صيرورة وتحول ابدي وهو لا يعي كل وجوده دفعة واحدة ، وقد جسد رفقه صورة عميقة لكائننا المشوه ، السائر نحو الهلاك بفرح او بحزن وكآبة :

« أبدا تفلت منا ،
أبدا عيناك فوق الهاوية »

وحينما نعبر رؤانا وضياءنا نلتجيء اخيرا الى جوهرنا في اخر الليل حيث تنعدم المسافة ويتمنى الشاعر ان يصير وكرا عاشقا لطائر شتوي يظل مع العواصف الغريبة . وبعد ان يفرغ الشاعر من امنيته هذه يرى انه ما زال مغلقا كحقيبة وما زال خارج عهد الضوء حيث تجتازه الاشياء ويجتازها :

« الليل في آخره ، وها أنا
حقيبة مقفلة ،
تفكها نوافذ الفضاء ،
وأنت يا حبيبتي
مفارق اقطعها ، احضنها
في الريح والفناء . »

وحتى في الحب لا يستطيع الكائن المغلق ان يصمد . الكائن مكرس للتوغل في العالم ، والمأساة تبدأ عندما يضيع فيه ، يصير شيئا بين اشيائه ، وحين تموت الاشياء ويموت الانسان معها بهدوء او بعنف بأمل او بيأس . عندها يبتعد كل شيء عن الانسان ولا يبقى في الانسان القادم سوى حنين عميق لتخطي عتبة الموت والهزيمة :

« طرقات الحب ، دعها
تقحم الدار وتنأى
انت ظل هارب
ما أنت منها .
وانقاض الهزيمة »

وحينما نتخطى عتبة وجودنا الى الهوة يصير كل شيء مغلقا خلفنا

وتغلق مشاعرنا واحاسيسنا ، ويضيق الزمن ونرتعش ونسيل في الوادي مع الرعب المولود معنا وتتحول الاشياء الى ذكريات فقط وتفقد دورها الوجودي ، حينئذ نفقد قوتنا وتهوي عتبة وجودنا ويصدأ جرس القلب . رغم كل شيء الارتحال ممكن للغاية الا ان ثمة مسافة لا نقطعها ـ المسافة الاخيرة حيث اللاوعي الشامل والتهدم الكياني المطلق :

« هنا تبيت الليل
فالاقاصي عالقة بنجمة ضريرة .
لن تقطع المسافة الاخيره
لن تحضر القطاف
الثلج خلف الباب
والسياج صامت
يغيب عن حدوده
في مخبأ القصيدة الكبيره »

شاعر يربط الكون بالاقصى والغيب والمطلق ويرسم الانسان الصغير الضائع في غابة الافلاك والكواكب والقصيدة الكبيرة تجعل الاشياء تتماسك حتى في انسحاقها وانعدامها . وهذه القصيدة مغلقة كنجمة والوجه عالق بها بشجاعة والشاعر يطوف « بين الله والعبارة » كصياح ديك كائه ، وخلال هذا الانتظار المرير ـ انتظار الآتي المبشر ، الآتي من العهود القديمة راسما وجه الخرافة : الانسان ـ يرسم الشاعر نفسه كأنه الآتي وسواه :

« يهبط الوديان ، يرقاها
وتحت الشمس يعلو
مع بخار الارض للرؤيا :
هنا يصبح جسرا
رابطا بالغيب درب المقبره »

فيمر كشمس الطفولة عبر السماء الواسعة ليذوق عشبة الفجيعة وهو يرتحل ، آتيا يجهل المفارق ولا ضوء وراءه ولا ثمار ، وكل ثروته الجوع الذي يطعمه للطرقات . فوجه الانسان مغلق ، مغلق . حتى في آخره . مع هذا لا يستبد اليأس بالشاعر . انه ينتظر العلامة الآتية من حيث تتصل الارض بالرؤيا ، حيث يصير الكون صحراء ، فتأتي العلامة لتضيء « خليج الله » ويسكن الانسان في ظلاله . ومن هو هذا الباحث ابدا ـ عن الاله الايدية ، الاله المنقذ او الاله الانسان ـ سوى النجم الاخرس والجرح النبوي الذي يتقصى الله في قاع البحار . وحين يتم المجيء لا يكتمل الوجه ، فهو سيبقى ابديا مكرسا للبحث متألها ، وشهواته تدفعه للاتصال بالعالم .

التجديد

ما معنى التجديد في الشعر ؟ ان مفهوم التجديد نسبي ، فهو يفترض اولا وجود القديم ومعرفته ، فالتجديد هو اضافة شيء ما الى التراث ، والتراث مجموع الاعمال الحضارية التي يتناقلها الافراد عن طريق المجتمع . فالتجديد مرتبط بتجدد اللغة وتجدد المواضيع والاشكال الفنية ـ أي الوسائل التعبيرية . والتجديد يفترض تجاوز التراث واغناءه بطريقة حقيقية . وهذا التعريف لا اظنه كافيا اذ ان بأمكان الفنان ان يجدد من داخل التراث نفسه ، وان يتجدد هو ايضا. فالتجديد هو توكيد لاستمرار الحياة عند شعب ما ، وهو علامة من علامات نموها الحضاري وتطورها ، التجديد ابتكار والابتكار نفي ، والنفي لا تاريخ له ، انه الوعي التاريخي الحقيقي . وقد يأتي التجديد على شكل ثورة في التعبير الفني واللغة كما عند انسي الحاج ، وعلى شكل ثورة في الموضوع والتعبير الفني كما عند فؤاد رفقه .

جامعة ليون ـ فرنسا
خليل احمد خليل

قبل أن تقول لي

لو تعرف يا رب القلب ..
لو تعرف ما تحفر كلماتك في اغوار القلب
لو تعلم ان الكلمات
تهزمني في لحظات ..
تقتلني في لحظات ..
توقظ في لحظات ..
احساسا في قلبي مات !!

***

لو تعلم ان الكلمات الميتة الجوفاء ،
تبعث في انفسنا ، تولد ،
تكبر في الاعماق تمد اياديها ،
تقتل في الافئدة الحب
وتولد فيها الحقد الاسود ..

***

ظل الكلمات
هذي الجدران السوداويه
تسجن كل الناس تغللهم
تقتلهم ، تتركهم
جثثا في الزنزانات

***

لو انك تسمع في صدري نوح الاحزان
هل كنت ستتركني للسجان ؟
يشتمني ، يصفع وجهي في غير حياء
ويذل باعماقي الانسان

***

لولا قلبي يتنزى دما
لولا اني في اعماقي محترق الما
ما كنت رميت سلاحي
ما كنت طويت جناحي ،
ما كنت تركت المجذاف
واستسلمت لاغرق في بحر الكلمات

نصار محمد عبد الله
كلية الاقتصاد والعلوم السياسية
جامعة القاهرة